

خالد بن الوليد
بطل معركة اليرموك

محمد محمود القاضي

دار التوزيع والنشر الإسلامية
٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١ - ٣٩٠٠٥٧٢ ص ب ١٦٣٦

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ففتح به قلوبًا غلفًا، وأعينًا عميًا، وآذانًا صمًا .

وبعد،

فإن الجهاد فى سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، وما تركه قوم إلا ذلوا، ومنذ أن أمر الله المسلمين بقتال المشركين فى قوله تعالى : **﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾** [التوبة: ٣٦]، انطلقت كتائب الجهاد فى سبيل الله تفتح البلاد شرقاً وغربًا ابتغاء رضا الله **﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [النساء: ٧٤].

وكانت كـتائب الجـهاد تدرك هدفـها جيـدًا، فقـد كانت رسالتهـا فى كل لقاء لها مع أعـداء الله واضحة، وهى: «إن الله ابتـعثنا لنخـرج من شاء من عـبادة العـباد إلى عـبادة الله وحده، ومن ضيق الـدنيا إلى سعتهـا، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

وكان يقود هذه الكتائب قادة عظام صدقوا ما عاهدوا الله عليـه، فـصـدقـهم الله، وفـتح على أيديـهم، وأيدهم على أعدائهم فى معارك فاصلة.

وسوف نـقدم فى هذه السلسلة نماذج فـريدة لقادة الفـتح الإسلامى الذين ضربوا أروع الأمثلة فى فنون القيادة والحرب، وكـانت المعارك الحـربية التى قـادوها دليـلاً على عبـقريتـهم وعظمتهم، فيجـدر بكل مسلم أن يدرس سيرة هؤلاء القادة؛ ليقتدى بهم فى حياته، والله نسأل أن يرزق أمتنا بأمثال هؤلاء القادة الأفذاذ، فيفـتح الله على أيديهم، ويعيدوا للإسلام عزه ومجده.

المؤلف

شوق وعناد

جاء الرسول ﷺ ومعه صحابته الكرام إلى مكة لأداء عمرة القضاء فى العام السابع الهجرى، حسب ما اتفق عليه المسلمون مع كفار قريش فى صلح الحديبية.

ولما علم خالد بن الوليد بمقدم رسول الله ﷺ لأداء العمرة، رأى أن يخرج من مكة فى هذا اليوم حتى لا يرى المسلمين وهم يدخلون مكة ويطوفون بالكعبة.

وكان الوليد بن الوليد - رضى الله عنه - قد قدم مع رسول الله ﷺ لأداء العمرة، فظل يبحث عن أخيه خالد فى مكة كلها فلم يجده، فترك له رسالة.

وفرغ الرسول ﷺ وصحابته من أداء العمرة، وعادوا إلي المدينة، فلما رجع خالد إلى مكة وجد الرسالة التى

تركها له أخوه الوليد، ففتحها متلهفا، فقد كان مشتاقا إلى معـرفة أخبار أخـيه وأحواله، ولكن كفـره وعناده وكرهه للإسلام جعلوه يترك مكة كلهـا خلال فترة وجود المسلمين بها.

ووقعت عينا خالد على سطور رسالة أخيه، فإذا فيها:

«بسم الله الرحـمن الرحـيم، أمـا بعـد، فـإنى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك، أوَ مثل الإسلام يجهله أحد؟ قد سألنى عنك رسول الله ﷺ، فقـال: أين خالد؟ فـقلت: يأتى به الله، فـقال: ما مـثله يجهل الإسـلام، ولو كان يجعل نكايتـه مع المسلمين على المشركين كان خيرًا له، ولقد قـدمناه على غيره، فاستدرك يا أخى ما فاتك، فقد فاتك مواطن صالحة».

لم تكن كلمات هذه الرسالة لتـمر على خالد دون أن يفكر فيها، فبدأ يحدث نفسـه: أحقا ما يقوله عنى محمد أترانى أخطـأت عندمـا حـــاربت هذا الديـن؟ أيكون دين محمد هو الحق؟ أيكون اتباعى لهذا الدين هو الخير؟ وماذا

يقصد محمد بقوله لأخى عنى: ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرًا له؟

أسئلة كثيرة كانت تدور بذهن خالد.. ولكنه سرح بخياله إلى الوراء ليستعيد بعض صور الماضى من مواقفه ومواقف أسرته وقبيلته المعادية للإسلام.

فقد كان أبوه الوليد بن المغيرة، من أشد الناس عداوة للإسلام، وكان ابن عمه أبو جهل بن هشام بن المغيرة من صناديد الكفر فى مكة، وكانت قبيلته بنو مخزوم لها شرف وسيادة وكانت تنازع فى شرفها وسيادتها بنى عبد مناف قبيلة محمد، وكانوا يتمنون أن تكون النبوة فيهم.

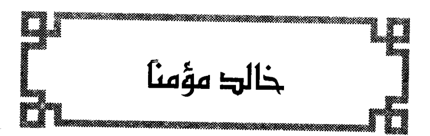
ولكن خالدًا بدأ يفكر فى هذا الأمر الذى جعله يعادى محمدًا هذا العداء الشديد.

ولم تشأ نفس خالد أن تتركه فى حيرته، فلقد تذكر يوم بدر عندما قتل من أسرته عدد كبير، إذ قتل رأس الكفر أبو جهل بن هشام، والعاص بن هشام، وأبو أمية

ابن أبى حذيفة، وأبو قيس بن الفاكه، وقتل أخوه أبو قيس، كلهم قتلوا بسيوف المسلمين.. وخالد رجل جهاد وجلاد، وبطل قتال ونضال، فكيف يرضى لفروسيته أن تسلِّم، أو كيف يرضى لعزته أن تستسلم.

وهذا ما دفعه إلى أن يتواجد فى صفوف المشركين يوم أحد، قائدًا لجيش قريش انتقاما لقتلاها فى بدر.. تذكر خالد يوم أحد عندما كان النصر يقترب من المسلمين، حتى إذا لمح أن الرماة الذين أمرهم النبى ﷺ بحماية ظهر المشركين تركوا أماكنهم ليشاركوا فى جمع الغنائم، فما لبث أن دار هو بفرسانه واحتل موقع الرماة الذين لم يبق منهم إلا القليل، وصاح بقريش وفلولها تتراجع، وجمعهم على القتال من جديد، فانهالوا على المسلمين وأعملوا فيهم سيوفهم وحرابهم ونبالهم.





خالد مؤمنًا

كـان خالد يسـتعـرض كل هذه الأحداث، ومـازالت رسالة أخيه الوليد بين يديه، فـبدأ السرور من مقالة رسول الله ﷺ يداعب شغاف قلبه، وأخذته سنة من النوم، فرأى في منامه كأنه في بلاد ضيقـة جدبة، فخرج منها إلى بلاد خضراء واسعة.

فاستيقظ خالد من نـومه وقد انشرح صدره للإسلام، وعزم على الذهـاب إلى المدينة، فلقيه صـفوان بن أمـية، فـقال له خـالد: أما ترى أن مـحمـدًا ظهر على العـرب والعجم؟ فلو قدمنـا عليه فاتبعناه، فإن شـرفه شرف لنا، فقال صفوان: لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبدًا، فتركه خالد وسار في طريقـه، فلقيه عـكرمة بن أبي جهل، فـقال له

خالد: لقد استبان لكل ذى عقل أن محمدًا ليس بساحر ولا شاعر، وأن كلامه من كلام رب العالمين، فحق على كل ذى لب أن يتبعه، ففزع عكرمة من كلام خالد، وسفه رأيه وأعرض عنه.

ثم لقى خالد عثمان بن طلحة وكان صديقًا له، فحدثه خالد بما يدور فى عقله، فأخبره عثمان بأنه يريد أن يذهب إلى المدينة ليعلن إسلامه، فتواعدا على الذهاب معا إلى رسول الله ﷺ، وبينما هما فى طريقهما إلى المدينة لقيا عمرو بن العاص، فقال: مرحبا بالقوم. فقالا: وبك، فقال عمرو: وأين مسيركم؟ قالا: الدخول فى الإسلام. فقال عمرو: وأنا ما جئت إلا لأسلم، فاصطحبوا جميعًا حتى دخلوا المدينة، وعلم رسول الله ﷺ بقدومهم، فسر بذلك وقال لأصحابه: «رمتكم مكة بأفلاذها».

يقول خالد فى قصة دخولهم على رسول الله ﷺ: فلبست من صالح ثيابى، ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ،

فلقـينى أخى، فـقـال: أسـرع فـإن رسول الله قـد سـر بقدومكم، وهو ينتظركم، فأسرعنا المشى، فاطلعت عليه، فما زال يبتسم إلى حتى وقفت عليه، فسلمت بالنبوة، فرد على السلام بوجه طلق، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، قال: «الحـمد لله الذى هداك، قد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير» فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يـغفـر لى تلك المواطن التى كنت أشـهدها عليك. فـقال: «الإسـلام يجب مـا كان قـبله» فقلت: يا رسول الله على ذلك، فقال: «اللهم اغفر لخالدا ابن الوليد كـل ما أوضع فيـه من صد عن سـبيلك»، ثم تقدم عمرو وعثمان فبايعا.

لقد أسلم خالد إسلاما عن يقين وإيمان، أسلم بعد أن اقتنع قلبه وعقله بأن محـمدًا فى رعاية الله وحمايته، وأن الله مؤيده ومؤازره، ومانعه وحافظه، وأن الدين الذى جاء به هو الدين الحق.



سيف الله المسلول

لقد كانت أعظم أمانى خالد بعد إسلامه أن يشهد مواقع الإسلام ضد أعدائه ليعوض ما فاته من خير، وها هى ذى الفرصة قد جاءته، فقد حدث أن قتل الروم الحارث بن عمير الأزدى الرسول الذى بعث به النبى ﷺ إلى هرقل، حيث قتله شرحبيل بن عمرو الغسانى وهو فى طريقه إلى هرقل، فجهز النبى ﷺ جيشًا من ثلاثة آلاف مقاتل، وجعل على قيادته ثلاثة قواد هم: زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبى طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، وكان خالد أحد جنود المسلمين فى هذا الجيش، وتحرك جيش المسلمين فى شهر جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة متجها إلى بلاد الروم لقتالهم، فلما وصل

الجيش قـريبًا من أرض الشام، علموا أن الروم قد جـهزوا جيـشًا ضخمـا يبلغ عدده مائتى ألـف مقاتل نصـفهم من العرب، ونصفـهم من الروم، وتشاور قادة المسلمين فـيما بينهم بعد أن رأوا كثرة عدد أعدائهم، وكادوا يتفقون على تأجيل الحرب لولا أن وقف عبد الله بن رواحة فقال:

يا قوم، والله إن التى تكرهون للتى خـرجتم تطلبون، الشهـادة، وما نقاتل الناس بعـدد ولا قوة ولا كثـرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكـرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنين، إما ظهور وإما شهادة.

زادت كلمات عـبد الله من حماسـة جيش المسلمين، فاندفعوا يقاتلون الروم، وقـتل قادة المسلمين الثلاثة، قائد فى إثر قائد بعد أن أبلوا بلاء حـسنا، فحمل لواء المسلمين ثابت بن أقـرم، ونادى فى الجـيش: يا مـعـشـر المسلمين اصطلحـوا على رجل منكم، قـالوا: أنت. قـال: مـا أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد.

لقد كان خالد بن الوليد هـو خير من يقوم بهذا الدور

فى ذلك الوقت، وها هو ذا الرسـول ﷺ قد زوى الله له الأرض، فـأصبح يرى من شـأن المسلمين الذين يقـاتلون على مـشارف الشـام ما حـدث به أصحـابه، فقـد روى البـخـارى عن أنس ـ رضى الله عنـه ـ أن النبى ﷺ نعى زيدًا وجعفـر وابن رواحة للناس قبل أن يأتيـهم خبرهم، فقـال: «أخذ الراية زيد فـأصيب، ثم أخـذ الراية جعـفر فـأصيب، ثم أخـذ الراية ابن رواحـة فـأصيب ـ وعـيناه تذرفان ـ حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليـهم» وهكذا سجـل الرسول ﷺ لقب سـيف الله لخالد ـ رضى الله عنه ـ وهو أكبر وسام عرفه التاريخ.

وتولى سيف الله قيادة جيش المسلمين، فرأى ببصيرته الحربية أن يدبر خطة يعود فيها بالجيش سالما دون أن يدرك جـيش الروم ذلك، وفى المـسـاء غـيـر خـالد من وضع الجيش، فجعل المقـدمة مؤخرة، والميمنة ميـسرة، والميسرة ميمنة، وجـعل فى مؤخرة الجيش جماعة يـحدثون ضجة وصخـبا، ويثيرون غـبارًا، ليوهم الروم بأن مددا قـد قدم

على جيش المسلمين.

فلما أصبح الصباح، وتقابل الجيشان، رأى جيش الروم وجوها غير وجوه الأمس، فتأكد لديهم أن المسلمين وصلتهم أمداد عظيمة، فخافوا وتراجعوا، فلم يتبعهم خالد، ورأى أن الرجوع بالمسلمين هو الغنيمة الكبرى.

ولقد أبلى خالد فى هذه المعركة بلاء حسنا، فقد روى البخارى عنه أنه قال: لقد انقطعت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقى فى يدى إلا صفيحة يمانية.

وعندما وصل جيش المسلمين إلى المدينة قابله الناس بالهتاف: يا فرار... يا فرار.. فررتم فى سبيل الله. وذلك لأن الجيش لم يتبع الروم وكر عائدًا إلى المدينة، ولكن الرسول ﷺ كان يعلم دافع المسلمين إلى العودة فقال: «ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله».



فتح وجهاد

وفى فتح مكة، كان خالد بن الوليد على ميمنة المسلمين، وأمره الرسول ﷺ أن تكون كتيبته أولى الكتائب فى دخول مكة لأنه سيدخل من أسفلها، بينما سيدخل الرسول ﷺ ومن معه من أعلي مكة، ودخل المسلمون مكة من حيث أمرهم الرسول ﷺ، ولم يجد أحد منهم مقاومة إلا خالد بن الوليد، فقد لقيه جمع من المشركين فيهم عكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية، فقاتلهم خالد فقتل عددًا منهم، ولما رأى الرسول ﷺ السيوف من بعيد أنكر ذلك، فقيل له: إنه خالد قوتل فقاتل، فقال: «قضاء الله خير».

ودخل الرسول ﷺ مكة منتصرًا مظفرًا، وكسر

الأصنام التى كانت عند الكعبة، وأمر خالد بن الوليد أن يمضى لهدم العزى أكبر أصنام قريش، وصاحب المكانة العظيمة فى نفوس أهلها، فذهب خالد فى ثلاثين فارسا من المسلمين إلى بطن نخلة التى يوجد بها ذلك الصنم، فهدمه ، وبذلك طهرت مكة وما حولها من الأصنام والأوثان إلى يوم الدين.

ثم أرسل الرسول ﷺ خالدًا على رأس ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار إلى بنى جذيمة، ليدعوهم إلى الإسلام، ولم يأمرهم بقتال، وكان بنو جذيمة هؤلاء معروفون بالشراسة والجفوة والغلظة، فلما وصل خالد إليهم أمرهم أن يضعوا أسلحتهم، فهموا بذلك، فأراد أحد شيوخهم أن يثنيهم عن وضع السلاح حتى لا يلحق بهم العار، ولكنهم لم يأخذوا برأيه ووضعوا السلاح، ولكن خالدًا لم يقنع منهم بهذا، فجمع رءوسهم وأمر بهم فقتلوا، وأنكر عليه بعض المهاجرين والأنصار فعله ذلك، فلما علم رسول الله ﷺ بما فعله

خالد رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم إنى أبرأ إليه مما صنع خالد.. اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد»، ثم أرسل على بن أبى طالب فدفع الديه عن كل من قتل من بنى جذيمة.

وفى غزوة حنين أبلى خالد بلاءً حسناً، وجاهد جهاداً مريراً حتى أصيب بجراح كثيرة، فزاره النبى ﷺ، وحباه بعطفه حتى برىء.

ثم بعد ذلك بعث رسول الله ﷺ خالدًا إلى أكيدر بن عبد الملك سيد كندة وملكها، وأخبره الرسول ﷺ بأنه سيجده يصيد البقر، فلما وصل خالد ومن معه إلى المكان الذى فيه أكيدر، وجدوه يصيد البقر ومعه أخوه وبعض قومه، فتلقتهم خيل رسول الله ﷺ فأخذته وقتلوا أخاه، وقدم خالد بأكيدر على رسول الله ﷺ، فصالح أكيدر على الجزية، وخلى سبيله.

ثم أرسل الرسول ﷺ خالدًا إلى بنى الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم للإسلام قبل أن يقاتلهم،

فبعث خالد رسله إليهم يقولون: أيها الناس، أسلموا تسلموا. فأسلم الناس، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة رسوله، وكتب إلى رسول الله ﷺ ليخبره بذلك، فكتب الرسول ﷺ إليه أن يأتى المدينة ومعه وفد منهم، فأقبل خالد إلي رسول الله ﷺ ومعه وفد بنى الحارث بن كعب.

وهكذا لم يسترح خالد لحظة واحدة من أن أسلم، فهو فى جهاد مستمر، فقد كان الجهاد فى سبيل الله أحب شيء إلى نفسه، وها هو ذا خالد يعبر عن هذه الحقيقة بقوله:

ما ليلة يهدى إلى فيها عروس، أو أبشر فيها بوليد، بأحب إلى من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم المشركين.

ومات رسول الله ﷺ وهو راض عن سيف الله المسلول الذى لا يكل ولا يمل من الجهاد فى سبيل الله.

بطل حروب الردة

بعد وفاة الرسول ﷺ ارتدت كثير من قبائل العرب عن الإسلام، وامتنعت قبائل أخرى عن أداء الزكاة، فقرر الصديق أبو بكر قتال هؤلاء، وعقد ألوية الجيوش التى ستنطلق لمحاربة المرتدين ومانعى الزكاة ومدعى النبوة.

وبدأت جيوش المسلمين تتحرك كل حسب وجهته، ومن المستحيل ألا تجد سيف الله فى مثل هذه الجموع الطاهرة المجاهدة، فقد جعله أبو بكر الصديق قائدًا على أحد ألوية جيوش الإسلام، بل إنه أرسله لقتال أصعب المرتدين مراسًا وأصلبهم قناة.. أرسله لقتال طليحة بن خويلد سيد بنى أسد الذى كان قد ادعى النبوة فى عهد رسول الله ﷺ وانضمت إليه بعد وفاة الرسول ﷺ بعض

قبائل العرب التى ارتدت عن الإسلام.

وأمر أبو بكر خـالدًا أن يتوجه بعد أن يفـرغ من شأن طلحة إلى مالك بن نويرة سيـد بنى تميم الذين امتنعوا عن أداء الزكاة، وارتد بعضهم عن الإسلام كلية.

وتحرك خـالد بجيشـه إلى لقاء طليحـة أولاً، وكانت قبيلة طيء من القبائل التى تجمعت حول طليحة وناصرته، فأرسل أبو بكـر الصديق عدى بن حـاتم الطائى إلى أهل قبيلتـه ليثنيهم عن محـالفة طليحة، فـذهب عدى إليهم، وأقنعهم بذلك، ثم انطلق مسرعًا إلي خالد ليخبره بذلك، ويطلب منه أن يتأخر بمسيرة الجيش ثلاثة أيام حتى تستطيع قبيلتـه أن تأخذ أبناءها الموجودين فى جيش طليـحة بحيلة ما حتى لا يشك طليحة فى الأمر.

وأرسلت طيء إلى طليحة يسـتدعون إخوانهم ليكونوا مددًا عـلى جيش المسلمين قـبل هجومـهم على طليـحة، فاقتنع طليحة بذلك، وسمح لأهل طيء بمغادرة الجيش.

وبعد نجـاح عدى فى هذه المهمة، وتبين مـدى تأثيرها فى إضعاف جيش طليحة، ذهب عدى إلي خالد واستأذنه فى الذهاب إلى جديلة إحدى القبائل المجاورة لطيء لعلهم يقتنعون بما اقتنعت به طيء، وقال لخالد: إن طيئا كالطائر وإن جديلة أحـد جناحى ذلك الطائر، فأجلنـى أياما لعل الله ينتقذ جديلة كما انتقذ الغوث.

وذهب عدى إلى جديلة وأقنعـهم بالعودة إلى الإسلام والانضام لجيش المسلمين، فكان عدى خير مولود ولد فى أرض طيء، وأعظمهم عليهم بركة.

وانطلق خالد لقتـال جيش طليحة، وتقابل الجـيشان، وتقاتلا قتالا رهيبا، وثبت طليحة وأصحابه، واستماتوا فى طلب الفوز، وانكشفت مـيمنة المسلمين وتبعتهـا الميسرة، ولكن خالدًا كرّ كرة الأسد، ونزل عـن فرسه ليملك زمام نفســه، ونادى فى جيـشه: يا أنصـار الله.. يا مهـاجرى رسول الله، وعندما سمع المسلمون صوت قائدهم أجابوه: لبـيك.. لبـيك. واشتـد القـتال، وعـادت العـزائم إلى

المسلمين جميعا، وقضوا على حرس طليحة، وركب طليحة فرسه وزوجته خلفه، وفر من ميدان المعركة، ونادى أتباعه: من استطاع أن يفعل هكذا فليفعل.

وهكذا ندرك الفارق بين من يقاتل على مبدأ ومن يقاتل على غير ذلك، فمن يقاتل فى سبيل الله يسترخص كل غال فى سبيل نصرة الدين وإعلاء كلمته، وأما من يقاتل فى سبيل الشيطان فلن تجد له صبرًا أو عزيمة.

وتتبع خالد فلول جيش طليحة يقتلهم ويأسرهم، ولكن جيوش المرتدين تجمعت مرة أخرى تحت قيادة أم زمل سلمى بنت مالك، التى كانت تحمل فى صدرها عداوة شديدة للمسلمين.

وتقابل جيش خالد مع جيش أم زمل، واشتدت الحرب بين الجيشين، واستطاع المسلمون قتل أم زمل، فانتهت الفتنة الثائرة، وخمدت النار المشتعلة.

ثم اتجه خالد بعد ذلك إلى مالك بن نويرة زعيم بنى

تميم، وعندما علم مالك بمسير خالد إليهم أمر قومه بالتفرق، فلم يجد خالد أحدًا عندما وصل إليهم، فبعث سراياه يبحثون عنهم، فمن أسلم منهم تركوه، ومن امتنع أسروه، وكانت العلامة التى يعرف بها المسلمون أن من يواجهونهم قد أسلموا أن يسمعوا منهم الأذان.

وأُسر مالك بن نويرة مع جماعة من قومه، وجىء بهم إلى خالد، واختلف المسلمون فى أمرهم فمن قائل أنهم أذنوا ورجعوا إلى الإسلام، ومنهم من قال أنهم لم يؤذنوا، فأمر خالد بحبسهم حتى يتبين الأمر فى الصباح.

وكانت ليلة شديدة البرد، فأمر خالد بعض رجاله أن يأمر الحراس بأن دافئوا الأسرى، فقتل الحراس مالكا ومن معه لأن كلمة دافئوا فى لغة كنانة معناها اقتلوا، ولم يكن خالد يقصد ذلك إنما كان يقصد أن يدفئوهم، وسمع خالد فى خيمته النواح والعويل، فذهب إليهم، فوجد الأمر قد انتهى، فقال: إذا أراد الله أمرًا أصابه.

ووصل خبر ما حدث إلى المسلمين فى المدينة، فذهب

عمر مسرعًا إلى الخليـفة أبى بكر، وقال له: إن فى سيف خالد رهقا (ظـلما) وحق عليه أن يقيده، وألـح عمر على الخليفة فى ذلك، فقال أبو بكر: هبه يا عمر تأول فأخطأ، وما كنت لأشيم (أغمد) سيفا سله الله على الكافرين. ثم دفع أبو بكر دية مالك ومن معه.

وحدث أن تزوج خالد من أمرأة مالك، فازداد غضب عمر عندما عـلم بذلك، وكلم أبا بكر بشأنه، فأرسل أبو بكر ليسـتدعى خـالدًا، وحضر خـالد إلى المدينة، وقص على أبى بكر قصته، فاقتنع أبو بكر بكلامه، غير أنه لامه على تزوجه امرأة مالك.

ورجع خالد مـرة أخرى إلى جـيشه ليـواصل مسـيرة الجهاد، وكانت وجهته هذه المرة إلى اليـمامة لقتال مسيلمة الكذاب الذى كـان قـد ادعى النبوة فى عـهـد النبى ﷺ وجمع حوله جيشًا كبيرًا من الذين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبى ﷺ. وكـان جيش مسيـلمة يزيد على الأربعين ألفا، وجيش خالد لا يزيد على عشرة آلاف.

والتقى الجيشان، ودارت حرب من أهول الحروب التى مر بهـا العرب، وكان من رأى خالد أن يتـجمع كل حى من العرب حول لواء، فنادى فى الجيش قائلا: امتازوا أيها الناس، لنعلم بلاء كل حى، ولنعلم من أين نؤتى.

وحـمل خالد وجـيشـه على جـيش مسـيلمة حـملة شـديدة، وكـان شـعـار المسلـمين فى هذه المعـركـة «وا محمـداه»، وقاتل المسلمون قتالا شـديدًا، وكانوا يتنادون فيما بينهم: يا أصحاب سورة البقرة، يا أنصار الله.

وصـاح أبو حذيفـة ـ رضى الله عنه ـ بمن حـوله: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالأفعال، وألقى بنفسه فى معمعة القتال، وقاتل قـتالا مريرًا حتى استشـهد. وتساقط جنود مسيلمة حـوله واحدًا بعد الآخر، وكثر فيـهم القتل، ففر مسـيلمة ومن مـعه إلى حديقـة الرحمن التى كـان يملكها مسيلمة، فـحاصر المسلمون الحديقة، وبـدءوا يبحثون عن مكان يدخلون منه إلى مـسيلمـة ومن معـه، ولكن أسوار الحديقة كـانت محكمة، فانطلق من بين صـفوف المسلمين

صوت البراء بن مالك ـ رضى الله عنه ـ يقـول: يا معشر المسلمين ألقونى فى الحديقة، فحاول المسلمون أن يثنوه عن فعله، ولكنه أصر عـلى موقفه، فألقـاه المسلمون من فوق السور أمـام باب الحديقة، فنزل البراء على حـراس الباب كأنه الصاعقة، وقاتلهم قتالا شديدًا حتى استطاع أن يفتح الباب للمسلمين الذين انطلقوا داخل الحـديقة كأنهم السيل الجـرار الذى يلتهـم كل شىء أمامـه، وحـصد المسلمـون رءوس أعدائهم واحدًا بعد الآخر.

واستطاع وحـشى بن حرب الذى قتل حمـزة بن عبد المطلب يوم أحد، أن يقتل مسيـلمة بحربته، فكان وحشى يقـول بعد ذلك: قـتلت بحربتى هذه خـير النـاس، وشر الناس.

ولما قتل مسيلمة ضعفت عزيمة قومه، فأمعن المسلمون فيهم تقتـيلا، وأرسل خالد فرسانه ليطوفوا حـول اليمامة ويجمعوا مـا فى حصونها، فعرض مجـاعة بن مرارة أحد الأسـرى على خالـد أن يتوسط فى الصـلح بينه وبين بنى

حنيفة، فتم الصلح على أن يكون للمسلمين نصف السبىء والغنائم، وتزوج خالد من ابنة مجاعة.

فلما علـم أبو بكر بزواج خالد غضـب، وأرسل إليه عتـابا شديدًا، وخـاصة أن عـددًا كبـيرًا من المسلمـين قد استـشهد فى معـركة اليمـامة. فأرسل خالد إلى الخليـفة يوضح له حـقيـقة الأمـر قائلا: أمـا بعد، فلعـمرى مـا تزوجت النساء حتى تم لى السرور، وقرت بى الدار، وأما حسن عـزائى على قتلـى المسلمين، فوالله لو كـان الحزن يبقى حيا أو يرد ميـتا لأبقى حزنى الحى ورد الميت، ولقد اقـتحـمت فى الشـهـادة حتى أيست من الحـيـاة وأيقنت بالموت.

إن خـالدًا فارس حـرب وجهـاد، والفرسـان عندهم ميـزان العقل أقوى من ميـزان العاطفة، فرحـمة الله على خالد الذى حفظ للمسلمين فى حروب الردة هيبتهم.



الانطلاق نحو فارس

ولما فرغ خالد من أمر مسيلمة جاءه كتاب أبى بكر يأمره أن يلحق بالمثنى بن حارثة -رضى الله عنه- الذى كان يقاتل فى العراق، ويقود الجيشين معا، فأسرع خالد بجنده، ولحق بالمثنى ودخل أرض العراق.

وعلم قبيصة بن إياس بمقدم خالد، فأيقن بالهزيمة، فأرسل إلى خالد يصالحه على الجزية، فصالحه خالد على تسعين ألف درهم، فكانت أول جزية يأخذها المسلمون من بلاد العراق.

وأرسل خالد إلى هرمز قائد جيش فارس منذرًا: أما بعد، فأسلم تسلم، واعتقد لنفسك وقومك الذمة، أقرر بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون

الموت كما تحبون الحياة.

فلما وصل كـتاب خالد إلى هرمز أرسل إلى أردشـير ملك الفـرس، يطلب منه مـددًا لمواجـهة خـالد وجـيش المسلمين، وتقابل جيش المسلمين مع جيش الفرس، وقُتل هرمـز وتم النصر للمـسلمين، وبعث خـالد إلى أبى بكر بخمس الغنائم.

وأمـر خالد المثنى أن يسـيـر بجزء من الجـيش لمطاردة الفرس، وكـان أردشير قـد حشد حشـودًا ضخمـة لملاقاة المسلمين، فكتب المثنى يطلب المدد من خـالد، فذهب إليه خالد بجزء من الجيش، ووصل إلى مكان يسمى المذار كان الفرس قد تجمعوا فيه، وتلاقى الجيشان فى معركة حامية، وانهزم الفرس بعد أن قُتل منهم حوالى ثلاثين ألفا، وغنم المسلمون غنائم كثيرة.

ولكن أردشير ملك الفرس لم ييأس، فسرعان ما جهز جيشا آخـر ليثأر من هزيمته، فقـابله خالد بجيش المسلمين فى مكان يسـمى الولجة، والتـحم الجيـشان، وصـمد كل

فريق أمـام الآخر، حتى أيد الله المسلمين بنصـره، وانهزم الفرس، وولوا الأدبار، فـتبعهم جـيش المسلمين، وغنموا منهم غنائم عظيمة.

ولكن أردشير مـا يزال مصرًا على مواجـهة المسلمين، فجمع فلول جيشه وضم إليـهم الكثير من نصارى العرب الموالين للفـرس بقيـادة مالك بـن قيس، فـقابلهم خـالد وجيشـه، ودار بين الجيشين قتال عنيـف، فلجأ خالد إلى ربه داعـيا: «الـلهم إن لك على إن منحـتنا أكـتافـهم ألا أسـتبـقى منهم أحـدًا قـدرنا عليـه حتى أجـرى نهـرهم بدمائهم».

واشتد المسلمون على أعدائهم، فلم يثبت الفرس أمام حماسة المسلمين، واندفاعهم في القـتال، ففروا مسرعين، فتبعهم المسلمون وأسروا منهم عددًا كبيرًا، وقتل مالك بن قيس قائد العرب الموالين للفرس.

وسار خالد إلى أمغيشيا، فوجد أن أهلها قد تركوها، فأمر بهدمها، وغنم المسلمون غنائم عظيمة، وأرسل خالد

إلى أبى بكر أخماس الغنائم، وبلغ أبا بكر مـا فعله خالد بالفرس، فقال: عقمت النساء أن يلدن مثل خالد.

وكان خالد يعلم أن الفـرس لن يسكتوا على هزائمهم المتوالية، وخاصة أن آراذيه حاكم الحيرة قد سد نهر الفرات ليعوق مرور جيش المسلمين، فاسـتعد خالد لفتح الحيرة، وسار بجيشـه إليها، وفاجأ الجيش الموجود فـيها، وأعمل فيهم المسلمون سيوفهم، فقتل ابن أراذيه، وفجر خالد نهر الفرات، فعاد الماء يجرى فيـه، وعادت السفن إلى المسير، ونزل خالد بجيشه فى الخَوَرْنقَ وهو قصر عظيم كان أمراء الحيرة يصيفون فيـه. وكان أراذيه قد فر إلى الحيرة بعد أن مات ابـنه، واعتـصم بحصـونها وقـلاعهـا، فحاصـرهم المسلمون حـتى وافقوا عـلى دفع الجزية، وصالحـوا خالدًا على مائة وتسعين ألف درهم.

واتخذ خـالد الحيـرة مقـرًا لقيـادته ومركـزه الحربى، ومعـقل جيوش المسلمين، وكـان أردشير ملك الفـرس قد مات، وتنازع زعماء فـارس الملك من بعده، فكتب خالد

إليهم ينذرهم ويدعوهم إلى الإسلام.

فلما وصل كتاب خالد إلى زعماء فارس خافوا من تفرقهم، فجمعوا كلمتهم على رجل منهم هو الفرخزاد بن البندوان.

وسار خالد بجزء من جنده لإغاثة عياض بن غنم الذى بعثه الخليفة لفتح العراق من أعلاه، ورحل خالد بجيشه إلى الأنبار، فوجد أهلها قد بنوا حولها خندقا، فأمر خالد رماة المسلمين أن يصوبوا النبال إلى عيون الأعداء التى تتراءى عبر الخندق، فانطلقت سهام المسلمين لتندق فى عيون الأعداء وجباههم، فأصاب أهل الأنبار ذعر شديد من جيش المسلمين، وسميت هذه الوقعة ذات العيون.

وأراد أهل الأنبار مصالحة خالد، ولكنه لم يرض بشروطهم، وبحث المسلمون عن أضيق مكان فى الخندق وأقاموا عليه جسرًا، واقتحموا عليه، فأسرع قائد حامية الفرس إلي خالد وعرض عليه أن يتركه يرحل وليفعل

بالمدينة ما يشاء.

وتوجه خالد إلى عين التمر، وقاتل أهلها، وهزمهم، وأسر قائدهم عـقة بن أبى عقة، وأسر جيـشه كله، وكان جيش الفرس بقـيادة مهران بن بهرام ينتظر ما سـتسفر عنه مـواجهـة أهل عين التمـر لخالد، فلمـا رأى هزيمتهم فـر بجيـشه، ثم قـتل خالد عـقة ليـفت فى عضـد من يريد المقاومة من بقية جيشه.

ثم سار خالد بجيـشه إلى دومة الجندل، حيث أرسله أبو بكر - رضى الله عنـه - مـددًا لعـيـاض بن غنم الذى استعـصى عليه فتح دومة الجندل، فلمـا علم أهلها بقدوم خالد خافوا وفزعوا، واختلف قائداها أكيدر بن عبد الملك والجـودى بن ربيعـة فى أمرهـما، فـقد كـان أكيـدر يرى مصالحة خالد، قائلا: أنا أعلم الناس بخالد، لا أحد أيمن طائرًا منه، ولا أحد فى حرب، ولا يرى وجـه خالد قوم أبدًا قلوا أو كثـروا إلا انهزموا عنه، فـأطيعونى وصـالحوا القوم، ولكنهم رفضوا الصلح، فـرفض أكيدر أن يحارب

معهم. فجعل خالد دومة الجندل بين جيشه وجيش عياض، وهجموا عليها، فانهزم أهل دومة الجندل، وأسر الجودى، فقتله خالد، واقتحم المسلمون الحصن وقتلوا المقاتلة، ونالوا الكثير من الغنائم.

وبعد أن فرغ خالد من دومة الجندل تمنى أن يذهب ليفتح المدائن عاصمة فارس، ولكن أبا بكر منعه من الإقدام على هذه المغامرة حتى يتأكد أن ظهره محمى من كل حركة معادية، وأن يستأذنه أولا.

وسار خالد بجيش المسلمين حتى وصل إلى مكان يسمى الفراض يقع على الحدود بين العراق والشام، فاغتاظ الروم من خالد لأنه بدأ يظهر قريبا من بلادهم، فتناسى الروم خلافاتهم القديمة مع فارس، واجتمعوا معًا ومعهم القبائل العربية المجاورة لمهاجمة خالد وجيشه فى الفراض.

ولنقف قليلاً عند هذا الأمر، لأنه شىء متكرر عبر الزمان، فأعداء الإسلام دائمًا ينسون خلافاتهم وعداواتهم

عندما يواجهون الإسلام، وصدق من قال: تفرق شملهم إلا علينا، فليعتبر المسلمون اليوم من ذلك.

وكان خالد يرقب حركات هذه الجيوش التى تتجمع لملاقاته، فقد كان يرسل عيونه لتستطلع الأخبار، ودارت معركة شرسة بين جيش المسلمين والجيوش المتجمعة من الفرس والروم والعرب المناصرين.

وتمكن المسلمون من أعدائهم الثلاثة بفضل الله وقوته، وأصدر خالد أوامره فى صفوف المسلمين قائلا: لا أسرى.. ولكن قتلى. وانقض جيش المسلمين على أعدائهم يقتلونهم ويحصدون رءوسهم، حتى بلغ عدد القتلى عشرات الآلاف. وكانت هذه المعركة الخالدة آخر بصمة لخالد فى العراق.



الانطلاق نحو الشام

في الوقت الذى كان خالد يقاتل فيه فى بلاد العراق كان الخليفة أبو بكر يعد عدته لتسيير حملة كبرى إلى الشام تقضى على حكم الروم لهذه البلاد العربية، وسير أبو بكر أربعة جيوش لهذه البلاد، ولكل جيش قائد من خيرة قواد المسلمين:

أبو عبيدة بن الجراح ووجهته حمص، ويزيد بن أبى سفيان ووجهته دمشق، وعمرو بن العاص ووجهته فلسطين، وشرحبيل بن حسنة ووجهته الأردن.

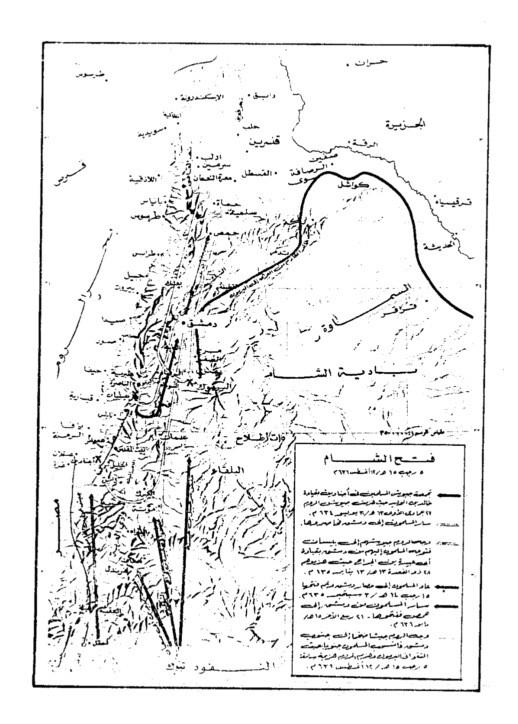
وعندما علم هرقل ملك الروم بأمر هذه الجيوش حشد للقائهم جيوشًا عظيمة، واتخذ قاعدته حمص، وأرسل لكل جيش من جيوش المسلمين جيشًا لمقابلته يفوقه فى

العدد والعدة.

ولما رأى المسلمون قوة جيوش الروم تراسلوا فيما بينهم يتشاورن، وكان من رأى عمرو بن العاص أن تجتمع الجيوش الأربعة لملاقاة جيوش الروم، فأرسلوا إلى الخليفة يستأذنوه فى ذلك، ويخبروه بأنهم اتخذوا اليرموك موقفا للقائهم.

فلما وصلت الرسالة إلى أبى بكر، أدرك أن جيوش المسلمين فى مأزق، فأرسل إليهم يأذن لهم بالاجتماع، ثم قال كلمته المشهورة: «خالد لها». «والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد»؛ ثم أرسل الخليفة أبو بكر إلى خالد يأمره أن يعجل بالسير إلى اليرموك لنجدة جيوش المسلمين هناك، وقال فى الرسالة ناصحا خالدًا: «فليهنئك أبا سليمان النية، فاتمم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل، فإن الله له المن، وهو ولى الجزاء».

فلما وصلت رسالة الخليفة إلى خالد أسرع فى تلبية


بادية الشام
دمشق
قنسرين
حلب
حمص
حماة
الجزيرة
الرقة
قرقيسياء
الحديثة
الرصافة
الإسكندرونة
دابق
اللاذقية
معرة النعمان
طرسوس
طرابلس
البلقاء
فتح الشام
٥ رجب ١٥ هـ / ١٢ أغسطس ٦٣٦ م
تجمعت جيوش المسلمين في أجنادين بقيادة خالد بن الوليد حيث هزمت جيوش الروم ٢٧ جمادى الأولى ١٣ هـ / ٣٠ يوليو ٦٣٤ م.
سار المسلمون إلى دمشق فحاصروها.
وجه الروم جيوشهم إلى بيسان فتوجه المسلمون إليهم من دمشق بقيادة أبي عبيدة بن الجراح حيث هزموهم ٢٨ ذو القعدة ١٣ هـ / ٢٣ يناير ٦٣٥ م.
عاد المسلمون إلى حصار دمشق ثم فتحوها ١٥ رجب ١٤ هـ / ٣ سبتمبر ٦٣٥ م.
سار المسلمون من دمشق إلى حمص ففتحوها ٢١ ربيع الآخر ١٥ هـ / مايو ٦٣٦ م.
وجه الروم جيشا ضخما إلى جنوبي دمشق فانسحب المسلمون جنوبا حيث التقوا في اليرموك وهزم الروم هزيمة ساحقة ٥ رجب ١٥ هـ / ١٢ أغسطس ٦٣٦ م.

الأمـر، وولى المثنى بن حـارثة قيـادة الجـيش مكانه، ولا يفوت خـالد فى مثل هذا الموقف أن يقوم ببطولة مـغامرة جديدة من مـغامـراته فى سبيل الله، فـقد سـار خالد فى طريق غـيـر مـعــروفـة لدى الناس، وهو طـريق ملىء بالصعاب، ولكن خالدًا تعود دائمًا أن يقتحم الصعاب.

ووصل خالد إلى الشام فى زمن قياسى، فوجد قوات المسلمين على شاطىء اليرموك الأيسر، وقوات الروم على الشاطىء الأيمن، ورأى خالد أن الخليـفة لم يول أحدًا من قادة المسلمين الأربعة القيادة العـامة للجيش، فقال خالد: إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغى فيـه الفخر ولا البغى، أخلصوا جـهادكم، وأريدوا الله بعملكم، فهـذا يوم له ما بعده، ولا تقاتلوا قوما على نظـام وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغى، وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حـال بينكم وبين هـذا، فاعـملوا فـيمـا لم تؤمروا به بالذى ترون أنه الرأى من واليكم.

فقال له قـواد الجيش: فما الرأى؟ قـال خالد: هلموا

فلنتعاور (نتناوب) الإمارة، فليكن بعضنا اليوم، والآخر غدًا، والآخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم، ودعونى أتأمر اليوم، فوافق الجميع لثقتهم فى خالد.

فتولى خالد قيادة الجيش العامة، وقسمه ثمان وثلاثين فرقة، وجعل على كل فرقة قائدًا، وجعل أبا عبيدة فى القلب، وعلى الميمنة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل، وعلى الميسرة يزيد بن أبى سفيان.

ثم جعل للجيش قارئا يقرأ عليهم سورة الأنفال، وكان أبو سفيان بن حرب يحث المسلمين على القتال.

ونشب القتال، ودارت الحرب بين المسلمين والروم، وخرج جرجة أحد قواد جيش الروم ونادى: ليخرج إلى خالد، فجاء إليه خالد حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جرجة: يا خالد أخبرنى فاصدقنى ولا تكذبنى، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعنى فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا: قال:

فبم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعـث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميـعًا، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كـذبه وباعده، فكنت فيمن كـذبه وباعده، ثم إن الله أخذ بقلـوبنا ونواصينا فـهدانا به وبايعناه، فـقال لى: أنت سيف من سـيوف الله سله الله على المشـركين، ودعا لى بالنصر، فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

ثم سأل جرجـة خالداً عن الإسلام، ومنزلة من يسلم لله، فأجابه خالد، فاقتنع جرجة بكلام خالد، وأسلم لله، وانضم إلى صفوف المسلمين، فذهب به خالد إلى خيمته، وصب عليه المـاء ليتوضـأ، ثم صلى به ركعـتين، وخرج جـرجـة ليـقـاتل فى صـفـوف المسلمين، وكـتب الله له الشهادة، ومات ولم يصل لله غير هاتين الركعتين.

وحمـل الروم على المسلمين حملة شـديدة، فتـراجع المسلمـون، فصاح عـكرمة بن أبى جـهل صيحـة زلزلت قلوب الروم، وقال: قاتلـت مع رسول الله فى كل موطن

ثم أفر منكم اليوم. والتفت عكرمة إلى أصحابه وقال: من يبايع على الموت، فبايعه أربعمائة من صفوة الجنود، واندفعوا يقاتلون الروم كالسيل.

وأصدر خالد أوامره للجيش كله بالزحف، واندفع خالد يهوى على الرءوس فتتطاير، وعلى الأعناق فتتساقط، واقتربت الشمس من الغروب، وظهر الضعف على وجوه الروم، وشعر خالد أنهم يهمون بالفرار، فأمر خالد جنوده أن يفتحوا للروم طريق الفرار، وما إن رأى فرسان الروم فرصة للهرب حتى فروا جميعًا، فانقض خالد مع جند المسلمين على مشاة الروم، واقتحموا عليهم خندقهم، وكان من خلف الروم هاوية الواقوصة، فتساقطوا فيها، وضغط المسلمون عليهم، فازداد تساقط الروم حتى سقط منهم مائة ألف أو يزيدون وانهزم الروم بعد معركة من يوم واحد، وغنم المسلمون غنائم ضخمة، واستشهد من المسلمين فى هذه المعركة قرابة ثلاثة آلاف.

جهاد مع النفس

وأثناء قتال المسلمين الروم فى معركة اليرموك توفى الخليفة أبو بكر الصديق، وتولى عمر الخلافة من بعده، فقام عمر بعزل خالد عن قيادة الجيش وتولية أبى عبيدة بن الجراح مكانه، وأرسل بذلك إلى خالد، فوصلت الرسالة أثناء القتال مع الروم، فأخر خالد إعلانها على الناس حتى تنتهى المعركة، فلا يقع وهن فى صفوف المسلمين، وبعد الانتهاء من المعركة سلم خالد كتاب أمير المؤمنين لأبى عبيدة، وتنازل عن إمارة الجيش راضيا.

إن خالدًا يعمل لدين الله وابتغاء وجه الله تعالى ولا يهمه أن يكون أميرًا أو مأمورًا، وحاول بعض أقارب خالد أن يشعل نار الفتنة بين المسلمين، ولكن خالدًا استطاع أن

يغلق كل أبواب فى وجوه أصحــاب النفوس المريضة، لقد كانت الإمــارة كالجندية عند خالد كلاهمــا سبب يؤدى به واجبه نحو الله الذى آمن به، ونــحو الرسول الذى بايعه، ونحــو الدين الذى اعــتنقه، وســار تحت رايتــه، وجهــده المبذول وهو أمير مطاع كجهده المبذول وهو جندى مطيع.

إن خالدًا حقق نصرًا عظيما فى ميدان آخر من ميادين الجهاد، فلقد انتصــر على نفسه، والنفس من أعدى أعداء الإنسان ونصر خالد هنا لا يقل عن أى نصر حققه من قبل فى جهاد أعداء الله.

والحق أن أمير المؤمنين عمــر لم يكن يأخذ على خالد من سوء، ولكنه كــان يأخذ على سيــفه التســرع والحدة، وخــالد معــذور فى ذلك، فالسـيف عندمــا يكون فى يد فارس خارق كخالد، صاحب ضمير متوهج بحرارة التطهر والتـعــويض، ومــفعــم بولاء مطلق لدين الله، تحـيط به المؤامرات والعـداوات، فإن من الصعب عــلى هذا السيف أن يتخلى عن مبادئه الصادقة، وحدته الخاطفة.

وظل خـالد جنديا مـخلصا فى جـيش أبى عـبيـدة، فأرسله أبو عبـيدة لفتح قنسرين، فلما ذهب إليـها خالد، وعرف أهلها بـقدومه فروا، فتـبعهم خالد حـتى لحقهم، وقتلهـم تقتيـلا، ففر بـعضهم إلى الحـصون، فـقال لهم خالد: لو كنتـم فى السحاب لحـملنا الله إليكم ولأنزلكم إلينا. وحاصـرهم خالد حتى أرغـمهم على الصلح، ولما علم عمر بما فعل خالد قال: أمر خالد نفسه، رحم الله أبا بكر كان أعلم بالرجال منى.



نهاية المطاف

سكن خالد حمص أربع سنوات حتى جاءته المنية، وكان موت خالد على فراشه قمة المفارقة، فالرجل الذى قضى حياته كلها فوق ظهر جواده وتحت بريق سيفه يأتيه الموت وهو على فراشه.

لقد كان خالد يتمنى الشهادة بصدق، فها هو ذا يقول والدموع تنثاب من عينيه: لقد طلبت الموت فى مظانه فلم يقدر لى إلا أن أموت على فراشى. ثم يقول: لقد حضرت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى موضع إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وهأنذا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء.

صدقت يا سيف الله، فكم من جبـان أقعده جبنه عن مواقف الرجـال، وعن قولة حق، ولو قالها مـا أصابه إلا ما قدره الله له.

مات خالد، فـبكته البواكى وندبتـه العذارى، وسمع عمر بكاء النساء فقـال: وما على نساء قريش أن يبكين أبا سليمان، على مثله تبكى البواكى، وقال عمر فى حقه بعد وفاته: كان والله سدادًا لنحور العدو، محمود النقيبة.

فـرحم الله خـالدًا الصـــوال الجـوال فى كل مـيـدان ومجال.. ورحم الله خالدًا الأمير المطاع والجندى المطيع.

❁ ❁ ❁

رقم الايداع
٩٨/١٣٨٤٨
الترقيم الدولى
٩٧٧ ـ ٢٦٥ ـ ٢٢٨ ـ ٥

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣